وجعله قومٌ من عطف المفرد بتضمين الفعل الأول معنى يتسلط به عليه فيقدّر آثروا الدار والإيمان ونحوه.

قال أبو حيان: فركب ابن مالك من المذهبين مذهباً ثالثاً[1].

وابن مالك إمام نحوىّ، له في النحو نظرات، وفى مسائله آراء وفى مشكلاته توجيهات، وله مع ذلك آراء تفرّد بها، ومسائل لم يسبقه أحد إليها، نظر إلى النحو البصرىّ نظرة الناقد الممحص الذى لايرى له طلبة غير الوصول إلى الحق وإلى ما صحّ دليله، ووضحت حجته.

أخذ مسائل النحو البصرى ما قوى دليله، ورفض منها ما لم تؤيده الحجة، أو يدعمه البرهان. وسار على هذا النهج فى النحو الكوفى، أخذ ورفض، وعلل وناقش فوجهته فى المذهبين أن يأخذ أصحهما دليلاً، وأقواهما حجة، ويرفض ما لم يكن كذلك، وإذا رفض لم يرفض اعتباطاً أو تقليداً، وإنما لأسباب يبسطها وعلل يوضحها.

ومع أن النحو كان إلى هذا العصر يدور حول هذين المذهبين ولكل مذهب أنصار وأتباع، فإن ابن مالك لم يتجه إزاءهما وجهة معينة فقد يكون بصريًا فى بعض المسائل، وقد يكون كوفيّاً حين يقتنع بوجهة نظرهم فى بعض المسائل الأخرى، وأحياناً كان يترك المذهبين ليأخذ بآراء كبار النحاة الذين كانت لهم فى النحو نظرات كالأخفش، وسيبويه، والخليل وأبى على الفارسىّ، والشلوبين وغيرهم وابن مالك كان مقلّداً لهؤلاء، يتبع خطاهم ويقتفى أثرهم لأنه كان يناقشهم فى كثير من المسائل على أن لابن مالك آراء خاصة، وتوجيهات معينة ومسائل معروفة خالف فيها جميع النحاة، بل لم يسبقه أحد إليها.

ففى باب التنازع فى العمل قال ابن مالك:

٢٨١- كَـيُـحْـسَنَان وَيُسِئُ ابْنَاكَـا وَقَـدْ بَغَى وَاعْـتَـدَيَا عَـبْـدَاكَـا

(كيحسنان) الكاف جارة لقول محذوف ويحسنان فعل وفاعل، و

---

(١) السيوطى، الهمع، ص ٢: ١٣٠.